

## شظف العيش يدفع الأطباء الشباب التونسيين نحو الهجرة

كوادر علمية تغادر البلاد بحثاً عن حياة أفضل



يكافح الأطباء الشباب التونسيون في دراستهم طيلة سنوات عديدة لينعموا بالعمل والحياة الأفضل. لكن الواقع الذي فرضته عليهم الحكومات المتعاقبة على البلاد أجبرهم على المغادرة والبحث عن سبل العيش الكريم لتعجز الدولة لاحقاً عن تعويضهم لتزداد حالة القطاع الصحي سوءاً وظهرت جلية مع تفشي وباء كورونا.

تونس - يعمل طبيب الطوارئ عبدالوهاب في الصفوف الأولى لمكافحة وباء كورونا. لكنه لم يتقاض راتبه منذ أشهر ويستعد، شأنه في ذلك شأن غالبية الكوادر الصحية، لمغادرة تونس بحثاً عن ظروف عمل أفضل. وبفعل نقص الاعتمادات المخصصة لقطاع الصحة العمومية تدهورت الأوضاع في المستشفيات الحكومية بشكل جعلها منفرة تدريبياً للإطار الطبي. وتقول الإحصائيات إن المئات من الأطباء يهاجرون كل عام بنسق تصاعدي منذ بداية العقد الماضي. ولم تتوقف ظاهرة هجرة الأطباء الشباب إلى فرنسا وألمانيا أساساً وكذلك إلى دول الخليج. ويتوقع أن يبلغ عدد الأطباء المغادرين 2700 طبيب سنة 2022، وهو عدد أكبر من قدرة الدولة على تعويض هذه الكوادر في أي سنة. ويؤكد الطبيب الجراح سليم بن صالح الذي كان رئيساً لعمادة الأطباء أن "قرابة ثمانين في المئة من الأطباء الشباب هاجروا إلى الخارج في سنة 2019، محذراً من كبر سن الأطباء في القطاع الحكومي.

ويتابع الجراح قائلًا إن "هذه الخيبة أحست دائماً بالاشمئزاز"، موضحاً أن هؤلاء الشباب نجحوا في امتحانات الشهادة الثانوية بمعدلات عالية "ويجدون أنفسهم مهمشين من قبل السلطات بعد عشر سنوات من الدراسة". وتساءل "لكن ماذا فعلت الدولة ليجبوا؟"، مضيفاً "أنا أيضاً لم أعد أتحمّل وسأغادر". وتوهّل تونس سنويا 800 طبيب

وتعد تونس البلد الثاني عربياً من ناحية هجرة الكفاءات العلمية والأكاديمية بعد سوريا التي تعيش حالة حرب ومن الطبيعي تقادم نسب هجرة الكفاءات فيها. يقول عبدالوهاب عن ظروف العمل السيئة والراتب الضعيف "هذا غير مقبول ومقرّف، مشيراً أيضاً إلى الساعات



## مكروهون على مغادرة بلاد يحبوها

أحلام بالحاج أن الدول التي تشغل هذه الكفاءات "تستفيد دون مقابل من رأس مال بشري بكفاءة عالية". ويقول المدير العام للصحة فيصل بن صالح إن هذا "التدفق يقلقنا"، موضحاً أن كلفة تكوين طبيب في تونس تقدر بحوالي 46 ألف يورو. ويخلص المسؤول إلى أنه يمكن أن تعتبر هجرة الأدمغة "تصديرًا لخدمات، ولكن يجب أن يكون هذا مراقباً"، داعياً إلى تنظيم هذه الهجرة باتفاقيات بين الدول. والمشكلة أوسع بكثير من هجرة الكوادر الطبية، فالأرقام تتحدث عن هجرة أكثر من 100 ألف من الكفاءات وأصحاب الشهادات العليا من مختلف الاختصاصات منذ سنة 2011. وأغلب هؤلاء مهندسون مختصون في المعلوماتية، بليهم الأطباء والأساتذة الجامعيون ومعظم التخصصات العلمية والتقنية الأخرى.

احتجاجات إثر وفاة طبيب في مستشفى حكومي بمحافظة جندوبة (شمال غرب) المهمة بعد أن سقط به مصعد معطل أثناء مباشرة مهامه.

## هجرة الأدمغة تؤثر على جميع اختصاصات الطب ما يعزز أوجه القصور في قدرة الدولة على تعويض هذه الكفاءات

وأكدت دراسة نُشرت عام 2020 من قبل طالب دكتوراه شاب في الطب أن هجرة الأدمغة تؤثر على جميع اختصاصات الأطباء والكوادر الصحية، ما يعزز أوجه القصور "الاسمي في المناطق الأقل نمواً". وتوضح الكاتبة العامة في نقابة الأطباء

نقائص عديدة من بينها نقص الأجهزة والمعدات الطبية اللازمة، كإجهزة المساح الضوئي (السكران)، التي يحتاجها المريض بشكل يومي أثناء قدومه للعلاج. ويعاني المرضى داخل أروقة المستشفيات العمومية من طول الانتظار وبطء العلاج وتباعد المواعيد وسوء التنظيم وخلف الإدارة التي لم تتوصل بعد إلى تطبيق تقنيات التحول الرقمي (الرقمنة) بما يسهّل الخدمات. يقول عبدالوهاب "في لحظة ما أقول لنفسي: ماذا أفعل هنا؟" لأن "الوضع في تونس أصبح مصدراً للقلق والحيرة". ويتابع الطبيب الذي تلقى عروض عمل ويُعد ملفه لمغادرة البلاد "لا أرى أملاً هنا، أريد أن أهاجر من أجل روح معنوية أفضل". وفي مؤشر على تازم وضع قطاع الصحة في تونس قام الأطباء الشباب خلال ديسمبر الفائت بتظاهرات

الإضافية الإجبارية بسبب احتفاظ بعض المستشفيات ونقص الطواقم الطبية. مقابل ذلك "صفر حقوق" حسب المغربي الذي لم يتسلم راتبه منذ أن تم انتدابه بعقد محدود المدة في ديسمبر الماضي. وهو لا يتمتع بضمان صحي، ويعمل بالرغم من غياب المعدات والتجهيزات الضرورية لعلاج المرضى. ويقول "لا أستطيع التمتع بالحياة لقلّة الموارد ولا العمل في ظروف جيدة، ولا شيء آخر". ويخشى الطبيب "الألا تتمكن الدولة من سدّاد رواتبنا" هذا العام. ويمثل قطاع الصحة نسبة ستة في المئة من موازنة الدولة التي تبحث عن موارد تكميلية لعام 2021، بينما تصعب أمام المسؤولين مهمة الانطلاق في إنجاز مشاريع إصلاحات كبرى للقطاع مطلوبة من المانحين الدوليين. ويعاني قطاع الصحة في تونس من

## أطفال فلسطينيون يولدون من نطف مهربة من خلف القضبان

بمساعدة مركز زرنان التخصصي لعلاج العقم وأطفال الأنابيب في نابلس حيث تعمل العيوبة بصون بدران. وتقول بدران "تنتظر معظم نساء الأسرى إلى الموضوع وكأنه انتصار على الاحتلال بينما يحاول الفريق الطبي النأي بنفسه عن السياسة". وبحسب الطبيبة لا يقبل المركز إجراء التخصص إلا للنساء اللواتي تقدمن في السن بعض الشيء، فيما أزواجهن محكوم عليهم بالسجن لمدد طويلة. وتجرى عمليات الإخصاب لزوجات الأسرى في المركز مجاناً. ويعتبر التحقق من أن الحيوانات المنوية المهربة تعود إلى الزوج المعتقل أمراً بالغ الحساسية؛ تقول بدران إن موافقتها على إجراء العملية يسبقها طلبها من أربعة أشخاص، اثنان من عائلة الزوج واثنان من طرف الزوجة، التوقيع على ورقة تثبت ذلك قبل الشروع في محاولات الإخصاب. وتضيف "لا نعرف كيف حصلوا عليها ولا نطلب منهم أي تفاصيل". وبحسب الطبيبة الهنداوي "في أغلب الحالات التي تعاملت معها، لا أحد يسأل عن اختبار الحمض النووي ليعرف ما إذا كانت العينة قادمة من الزوج أم لا، ترسل العينات غالباً مع الزوجة أو أحد الأقارب". ويشير إلى أن اختبارات الحمض النووي غير متوفرة في غزة. وتقول متحدثة باسم مصلحة السجون الإسرائيلية هانا هيربست إن عمليات التهريب هذه محض "شائعات"، إذ "ليست لدينا معلومات أو أدلة تدعم هذا الادعاء"، مضيفاً "لا نعرف كيف يمكن إخراج كمية كافية من السائل المنوي واستخدامها في إجراء طبي".

قبل اعتقال زوجها أنجب الزوجان الزين ثلاث إناث، وفي عام 2012 قررت خوض تجربة التلقيح الصناعي على أمل أن تنجب أبناء. ويقدر نادي الأسير الفلسطيني، وهو هيئة أهلية مستقلة تعنى بشؤون الأسرى الفلسطينيين والعرب في المعتقلات الإسرائيلية، عدد الأطفال المولودين نتيجة تهريب النطف من أبناء معتقلين في السجون الإسرائيلية بـ96 طفلاً. ومعظم هؤلاء الأطفال جاؤوا إلى الحياة

أسبوعين من مولده في زيارة سابقة. ويقضي الأب عمر الزين منذ عام 1997 حكماً بالسجن مدى الحياة. وتروي دلال كيف اقترح زوجها ووالدته إجراء عملية التلقيح الصناعي؛ "في البداية كان الأمر صعباً جداً، كيف سيحصل الحمل وزوجي غير موجود". وتضيف "لكن عندما جئت إلى المركز وقابلت الطبيب ووجدت أجوبة لاسئلت، وافقت".

في غزة حملت عن طريق النطف المهربة، الأمر الذي تؤكد الطبيبة التي أجرت لها العملية غصون بدران. وتقول "أنا فخورة جداً بانثي جعلت الحياة جميلة في عيون زوجات الأسرى اللاتي لم يكن لديهن أبناء"، مضيفاً "من حقهن أن يكن أمهات". وتقول دلال إن صلاح الدين التقى والده مرة واحدة وهو بعمر الخمس سنوات خلال زيارته في المعتقل. وتمكن الأب من رؤية طفله الثاني مهنذ بعد

لكنه يضيف "كل هذا يتوقف على جودة الحيوانات المنوية بدايةً، مشيراً إلى "إمكانية الاحتفاظ بالسائل المنوي حياً في حاوية أو صندوق لأكثر من 24 ساعة". في عام 2020، وبعد ثلاث محاولات، حملت إيمان وكانت قد مرت خمس سنوات على آخر زيارة أدتها إلى زوجها في المعتقل. تقول وهي محاطة ببناتها الثلاث اللواتي أنجبتهن قبل اعتقاله "كنت أخشى أن أكبر ولا أتمكن من الحمل مرة أخرى بعد إطلاق سراح زوجي". وتضيف "أردت مولوداً ذكراً"، وهو ما سمحت عملية الإخصاب بتحديدته. وخضعت الأم لعملية الإخصاب على يد الإخصائي في قطاع غزة عبدالكريم الهنداوي الذي سبق أن أجرى عمليات إخصاب عدة لنطف مهربة من المعتقلات. ويقول الهنداوي "تحصل بعض السيدات على العينة من الأزواج بطريقة أو بأخرى، أحياناً يضعنها داخل قلم أو كبسولة صغيرة". ويضيف "يتم تخزين العينة في مركز خاص لتجميد الحيوانات المنوية، وتوجد في غزة عدة مراكز، وتستخدم (...) بعد فترة وبعد تجهيز السيدة للزراعة أو لعملية أطفال الأنابيب". تبلغ تكلفة كل محاولة إخصاب ألفي دولار، وهو مبلغ يعتبر كبيراً بالنسبة إلى أهالي القطاع الفقير. في منزل القدرة في مدينة خان يونس بدأ طلاء الجدران مقشراً وقد علق على أحداه صورة للزوج بزة عسكرية وهو يحمل سلاحاً. ويتبدو دلال الزين فخورة أيضاً بدورها كونها أول زوجة أسير فلسطيني

خان يونس (فلسطين) - تلف إيمان القدرة وهي تجلس في فناء منزلها في قطاع غزة مولودها مجاهد بطانية بيضاء سمكة، وتقول إنه لن يتعرّف في كنف والده المعتقل في إسرائيل والذي أخرجت نطفه سراً من السجن لتحمل منه. ومنذ سنوات دابت نساء فلسطينيات على تهريب نطف أزواجهن المنوية من السجون الإسرائيلية، واستخدامها في عملية يتم خلالها دمج البويضة مع الحيوانات المنوية خارج الجسم، ثم الخضوع لعملية إخصاب بها بغية الحمل.

## 96 طفلاً عدد المولودين نتيجة تهريب النطف من أبناء معتقلين في السجون الإسرائيلية

ويقضي زوج إيمان محمد القدرة منذ 2014 حكماً بالسجن لمدة 11 عاماً. وقد هرب محمد مع معتقل فلسطيني آخر أطلق سراحه من سجن في جنوب إسرائيل نطفاً منوية في زجاجة صغيرة. ونقل المعتقل المخرج عنه النطف من المعتقل عبر المعبر الحدودي، حسب رواية إيمان. وفي قطاع غزة بدأت عملية الإخصاب وبسط قلق في انتظار نتيجة العملية، إذ أن هناك محاولات كثيرة تبوء بالفشل. يقول اختصاصي الصحة الإنجابية في مستشفى تولوز الجامعي لويس بوجان إنه "من المعقول أن تظل الحيوانات المنوية حية خلال هذه الرحلة بغض النظر عن ظروف التبريد.



الفلسطينيون يتكاثرون عن بعد